(17-32)

الدولة الفلسطينية في السياسة الخارجية الامريكية

أمريكا ولعبة البدائل

ما ان انتهت الحرب العدوانية الصهيونية الامبريالية ضد منظمة التحرير الفلسطينية والشعبين الفلسطيني واللبناني عام 1982، حتى خرج الرئيس الامريكي ريغان بمبادرته الشهيرة التي جاء فيها: "ونحن نقيم طريقة معالجتنا بصورة ثابتة على المبدأ القائل ان النزاع العربي - الاسرائيلي يجب ان يحل عن طريق مفاوضات تتناول مفاوضات مبادلة الارض بالسلام. وهذه المبادلة مكرسة في قرار مجلس الامن الدولي 242 الذي ادمج بدوره وبجميع أجزائه في اتفاقتي كامب ديفيد".(1)

وعلى الرغم من الانحياز الفاضح في المبادرة لصالح العدو الصهيوني وضد الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة، فقد سارعت حكومة الكيان الصهيوني باعلان رفضها لمبادرة ريغان. وقامت بحملة اعلامية صاخبة مفادها: ان الضفة الشرقية لنهر الاردن هي فلسطين وان الضفة الغربية وقطاع غزة هما جزء لا يتجزأ من الكيان الصهيوني. وفي نفس الوقت بدأت لعبة المماطلات الصهيونية، للوصول إلى دورة الانتخابات الامريكية، التي ينعدم فيها قرار الادارة او يصبح تحت تأثير الضغط اليهودي الامريكي. وهذا جرى بالفعل، وانتهت فترة ريغان الرئاسية الاولى، وكذلك الثانية، دون أي تغيير في موقف الكيان الصهيوني. وكل ما حصل من تغيير في الموقف الامريكي، بعد ما قدمته منظمة التحرير من التزامات تنسجم مع قرار الكونغرس بالاعتراف بالقرار 242 وبوجود الكيان الصهيوني ونبذ الارهاب، هو اجراء حوار باهت مع المنظمة دون الاعتراف بها، ثم ما لبثت ان قطعت الحوار بذريعة واهية.

ومع اعلان الرئيس بوش عن انتهاء حربه العدوانية، مع الحلف الثلاثني ضد العراق، قام بتكرار مبادرة رئيسه السابق ريغان مذكرا بكلمات الارض والسلام حيث جاء في خطابه ما نصه:

"ولا بد ان يقوم السلام الشامل على اساس قراري مجلس الامن 242، 338 ومبدأ الارض مقابل السلام ويجب التوسع في هذا المبدأ حتى يكفل أمن "اسرائيل" والاعتراف بها. ويكفل في نفس الوقت الحقوق السياسية الفلسطينية المشروعة، واي شيء غير ذلك سوف يفشل من ناحيتي تأمين العدالة والامن. لقد حان الوقت لوضع حد للنزاع العربي - "الاسرائيلي". (2)

وقبل ان ينهي الرئيس بوش خطابه كان شامير قد اعلن رفضه لمشروع بوش، واعلن تمسكه بفهمه وتفسيره الخاص لقرار مجلس الامن (242) وبأن الكيان الصهيوني قد نفذه بالفعل عندما انسحب من اكثر من 90 % من الاراضي التي احتلها عام 1967 عندما اعاد سيناء لمصر حسب اتفاقيتي "كامب ديفيد الاولى".

أما قطاع غزة و (يهودا والسامرة) والقدس فانها جزء لا يتجزء من اراضي "اسرائيل" التاريخية. وان الحقوق السياسية الفلسطينية المشروعة هي تطبيق الحكم الذاتي حسب خطة شامير بعد اجراء انتخابات للسكان الفلسطينيين في "المناطق" على حد قوله.

اما جولة بيكر، الذي كان يحلم ان يكون بطل السلام، فقد تحولت، بفعل التعنت الصهيوني، إلى مجرد محاولة تستهدف ذر الرماد الامريكي في عيون شعوب دول تحالف حفر الباطن. ولم تسفر عن

شيء غير دموع الفرح الصهيوني، التي واجهها بفتح باب المماطلة الجديد حتى دورة الانتخابات الامريكية القادمة. فحلفاء امريكا في العدوان على العراق، خاصة دول الخليج بقيادة السعودية، قد بدأوا لعبتهم في مساعدة امريكا في تصفية المنظمة عبر قطع التزاماتهم تجاه القضية الفلسطينية من جهة، ومحاولة ايجاد بديل يستطيع احداث الشرخ داخل الشعب الفلسطيني من جهة اخرى.

ومن الواضح ان السياسة الامريكية المراوغة تنطلق من قاعدة مصالحها الثابتة على دعم الكيان الصهيوني ودوره في تكريس التجزئة والتخلف والتبعية في المنطقة العربية، ويدرك الامريكان ان الدولة الفلسطينية المستقلة وقيامها على أرض الواقع انطلاقا من قرارات الامم المتحدة والشرعية الدولية سيكون له أثره الفعال في إضعاف الدور الصهيوني تجاه تنفيذ استراتيجية التوتر الدائم في المنطقة.. ولهذا يأتي الرفض الامريكي الحاسم للدولة الفلسطينية. وهذا الرفض منسجم تماما مع رفض الا عتراف بالممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني المجسد لهذا الطموح الوطني وهو منظمة التحرير الفلسطينية.

لقد أصحبت مهمة تصفية م. ت. ف جزءا لا يتجزأ من استراتيجية الادارات الامريكية المتعاقبة. فالبعض حاول عبر الاقتتال العربي الفلسطيني وفشل، والبعض حاول عبر الكيان الصهيوني مباشرة، وفشل، والبعض حاول عبر احداث انشقاقات وشروخات داخل المنظمة بمساعدة اطراف عربية وفشل، والبعض حاول ان يجردها سياسيا من مبادئها وميثاقها وجرها إلى التنازلات المجانية على أمل فقدانها لشعبيتها والتفاف الجماهير من حولها، وفشل. وظلت المنظمة، بما تمثله من تجسيد للهوية الوطنية الفلسطينية، كالطود الراسخ في وجه المحاولات، وكطائر الفينيق كانت تنبعث من تحت الرماد في كل مرة كان الامبرياليون والصهاينة يعتقدون انهم اصابوا هدفهم.. وعلى الرغم من انهم فرضوا هيمنتهم شبه المطلقة على العالم واصبح مجلس الامن لعبة في أيديهم، وبعد ان احتلوا مساحات شاسعة من الاراضي العربية المقدسة، فقد حاولوا تصفية المنظمة من جديد، حيث قام مخططهم الجهنمي على ثلاثة اتجاهات، تحاول جميعها الوصول إلى تطبيق مشروع شامير، عبر وضع أهلنا في الارض المحتلة في مواجهة مصيرهم وحيدين مرغمين على قبول الحكم الذاتي كما جاء في "كامب ديفيد الاولى".

وقد كان موقف الشخصيات الوطنية الفلسطينية، التي التقت بالوزير بيكر داخل الارض المحتلة مؤشرا هاما بأن الفلسطينيين في الارض المحتلة متمسكون بمنظمة التحرير الفلسطينية، باعتبارها قائدة نضالهم وصائنة حقوقهم الوطنية وممثلهم الشرعي والوحيد، وعليه فان الاتجاهات تذهب نحو التخلص من هذا الممثل الشرعي الوحيد في الخارج على النحو التالي:

الاتجاه الاول: ويعتمد على امكانيات دول تحالف حفر الباطن في ايجاد بديل للمنظمة الحالية وقيادتها التاريخية، ليس بهدف تكريسها واعتمادها للحل الامريكي، وانما من اجل القضاء على الاصيل الذي يتمسك به شعبنا في الارض المحتلة. وفي مثل هذه الحالة ستكون نتيجة ان يرفض اهلنا في الارض المحتلة البديل المزيف ويقوموا بدور المنظمة في الداخل مما يحشرهم في خانة كامب ديفيد والحكم الذاتي.

الاتجاه الثاني: ويعتمد على احياء دور الاردن، عبر التفويض او الانابة او المشاركة في حق التمثيل، مما يدفع جماهير الانتفاضة الى رفض هذا الموقف من قبل المنظمة، ان هي اتخذته تحت ضغوط مختلفة، وتمسكهم بتمثيلهم لانفسهم مما يجعلهم في مواجهة تنفيذ مشروع شامير.

الاتجاه الثالث: وهو ما يتسرب من خلال التوجيهات للفلسطينيين على الساحة الامريكية. فقد بدأ المعهد العربي الامريكي يوزع مشروعا حول السلام الفلسطيني - الاسرائيلي، هو في اساسه محاولة التفاف لتطبيق "كامب يفيد" مع تعديلات تجميلية تضمن حق العودة ليس إلى الاراضي المحتلة عام 1948 وانما للارض المحتلة عام 1967، وفقا لما تسمح به امكانية الاستيعاب. وحيث ان هذا المعهد كان من انصار

التحالف ضد العراق ويتلقى تمويله من دول الخليج فان مشروعه لا يبتعد كثيرا عن الاتجاه الاول. حيث يعتمد على تسوية الصراع العربي - الاسرائيلي اولا وتقديم التزامات مسبقة من الدول العربية، بخطوات محددة تقود إلى تطبيع العلاقات بينها وبين الكيان الصهيوني، وبعد هذه الالتزامات من قبل الدول العربية وبعد موافقة الكيان الصهيوني على مبادرة تعلن الدول العربية التزامها بشرعية وجود "اسرائيل" وتنهي حالة الحرب معها، وتشرف الامم المتحدة على الانتخابات في الضفة والقطاع بموافقة المجلس الوطني الفلسطيني بعد خروج القوات الاسرائيلية!! وتقرر انتخاب جمعية تمثيلية تقوم بتشكيل حكومة وطنية انتقالية,أي ان تقوم المنظمة، عبر المجلس الوطني، بتفويض وانابة الداخل باعتباره البديل مباشرة دون لف او دوران. وهو ما يجعل الكيان الصهيوني يماطل في الانسحاب ويكون بذلك قد حصل على تنازلات عربية وفلسطينية مجانا (3).

ومن الجدير بالاشارة اليه ان السياسة الامريكية، المراوغة تجاه الصراع العربي - الصهيوني، بدأت تعود إلى اللعبة الداخلية بين وزير الخارجية ومستشار الامن القومي. فكما كان الحال في عهد روجرز وكيسنجر وعهد فانس وبريجنسكي، فان بوادر لعبة بيكر سكواكرافت قد بدأت تأخذ مداها. فما ان انتهت جولة بيكر العلنية حتى تبعتها جولة سكواكرافت السرية. ويرى المراقبون على الساحة الامريكية ان على الرئيس بوش ان يحدد إلى أي من وجهتي النظر سينحاز، ففي حين يرى بيكر امكانية الاستفادة من المعطيات التي خلفتها حرب الخليج والفرص التي اتاحتها للولايات المتحدة والتي يجب ان تقتنصها بسرعة، فان سكواكرافت يعتقد ان الرئيس بوش قد حقق انتصارا عسكريا كبيرا يجب عدم المساس به او تلطيخه من خلال خوضه في اوحال الشرق الاوسط.

ومن الطبيعي ان يختار الرئيس بوش الموقف الذي يكون اكثر انسجاما مع شركائه في التحالف من العرب خاصة السعودية ومصر وسوريا. وحيث ان مواقف هذه الدول من المنظمة ومن عملية التسوية ليست متطابقة فان من الطبيعي ان يكون التركيز العملي في الواقع الراهن بالنسبة لنا، يقوم على تكثيف التحرك الفلسطيني في المجالات المختلفة بما يحول دون تمرير مؤامرة تصفية الاصيل تحت شعار ايجاد البديل. ان مجالات العمل تنطلق, اساسا، من وحدة الموقف الفلسطيني وتماسكها، وتمسكها بالمنظمة وبعدم الانجرار إلى افخاخ المخططات التصفوية التي تحاول انتزاع التنازلات من المنظمة، سواء عبر التصريحات المدسوسة او غير المدسوسة والتي تثير في الساحة الفلسطينية نوازع عدم الثقة.

كما ان الساحة العربية، إلى جانب مجموعة دول المحل العربي، فان مواقف الاحزاب والقوى العربية في جميع الدول العربية مستثارة بشكل واضح ضد المؤامرة الامبريالية الصهيونية، سواء في مصر او سوريا او السعودية. ومن ابرز المواقف التي يجب الاشارة اليها ما نشرته جريدة "واشنطن بوست" لشيف كول حول لقاءاته مع ممثلي المثقفين السعوديين حيث قالوا له (انه لا يجب على واشنطن معالجة مسيرة السلام الاسرائيلية - العربية، بل ممارسة ضغوط على "اسرائيل" من اجل اعادة الاراضي المحتلة لحل المشكلة الفلسطينية. وانه في حال عدم تحقيق ذلك تكون دول التحالف ضد العراق الذي ادى إلى تحطيم القوة العراقية قد قامت بخدمة "الاسرائيل" وانها ثمرة لمؤامرة صهيونية تخدم المصالح الاسرائيلية) (4).

من الواضح ان الكيان الصهيوني كان يطلب أكثر من ذلك حيث كانت شروط شامير على بيكر بعدم الرد على الهجوم الصاروخي العراقي ان وقع لابد ان يحقق له أربعة قضايا هامة.

أول هذه القضايا هو قيام الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب والقضاء على النظام العراقي لابد من التوجه الى الجمعية العامة للأمم المتحدة لإلغاء القرار رقم 3379 للجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر في 10 نوفمبر 1975، والذي ينص على (ان الصهيونية هي شكل من أشكال العنصرية والتمييز العرقي) واستصدار قرار جديد يؤكد ان الحركة الصهيونية هي حركة التحرر الوطني للشعب اليهودي.

اما القضية الثانية فهي تنطلق من ان منظمة التحرير الفلسطينية التي تحارب حركة التحرر الوطني للشعب اليهودي هي منظمة إرهابية ولابد من إدانتها وطردها من العضوية المراقبة في الأمم المتحدة. اما القضية الثالثة فهي تقتضي العمل في مسار ثنائي للسلام بين إسرائيل من جهة وكل نظام عربي على حدة من جهة أخرى حتى يصبح موضوع الأمن الوطني الخاص بكل دولة على حساب الأمن القومي العربي وأخيرا فان قضية السلام تتطلب مسارا متعدد الأطراف تشارك فيه جميع الدول العربية لمباركة عملية السلام ودفع التكاليف المترتبة عليها لذلك.ولقد عبرت الورقة الاستراتيجية التي وضعها الصهيوني دنيس روس للوزير بيكر في مرحلته الأولى على الشكل التالي:

(المطلوب من العرب:

- مساعدة إبراز قيادات فلسطينية مؤهلة في المناطق كشركاء مفاوضين مع إسرائيل.
- الأخذ بعين الاعتبار إجراءات بناء الثقة في الأمن مثل الإبلاغ عن النشاطات، التعديل في مستوى الإنذار للقوات وتحريك الوحدات.
- السماح بتبادل المعلومات مع إسرائيل حول الإرهاب.
- السماح بلقاءات غير رسمية مع شخصيات إسرائيلية.
- إعلام عدد من البلدان على ان المقاطعة الاقتصادية لإسرائيل من الدرجة الثانية قد أسقطت وفي الوقت المناسب سيتم إسقاط المقاطعة من الدرجة الأولى.
- إسقاط التحدي الدائم لإسرائيل في الأمم المتحدة وفي غيرها من الوكالات الدولية والاستعداد لرفض قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي يصم الصهيونية بالعنصرية.
- الإعلان على انهم لم يعودوا يعتبرون أنفسهم في حالة حرب مع إسرائيل. وانهم مستعدون لتطبيع العلاقات بالكامل مع التوصل لاتفاقية سلام)[5].

اما فيما يتعلق بالجانب الاسرائيلي فقد نصت ورقة دنيس روس الاستراتيجية على ما يلي:

تخفيف الظروف على الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة (مثل إنهاء الإبعاد، ووقف الاعتقال الإداري، وتخفيف عقبات التحرك، إعادة فتح الجامعات، انسحاب جيش الدفاع الإسرائيلي من قرى ومدن محددة... الخ)

الإعلان عن الاستعداد للانسحاب من جنوب لبنان بعد فترة من ستة اشهرالى 12 شهر من الهدوء على الحدود الإسرائيلية.

التعهد بحل شامل يقوم على أساس قراري مجلس الأمن 242، 338 يؤكد الاستعداد للتفاوض حول مرتفعات الجولان والتفاوض حول اتفاقية الوضع الدائم بما فيه لحل كونفدرالي للضفة الغربية وغزة (الاتحاد الكونفدرالي يمكن ان يرتبط بالأردن، الضفة الغربية وغزة معا - يكون فيها للفلسطينيين دولة خاصة متحدة كونفدرالية مع الأردن) والانفتاح الإسرائيلي لمثل هذه الاحتمالات يعطي إشارة بان إسرائيل لا ترى في الحكم الذاتي للفلسطينيين بانه هو نهاية الطريق)[6].

اما الوزير بيكر فقد كانت له خطة من خمسة أجزاء عبر عنها في مذكراته على الشكل التالي:

كان إحياء عملية السلام في الشرق الأوسط هو العماد الرابع لخطة من خمسة أجزاء لجلب الاستقرار الى توازن القوى في المنطقة، ومنع عودة النزعة التوسعية العراقية للظهور مرة أخرى، وعلى حد تعبيري "ضمان السلام" الذي نعمل على تحقيقه للأجيال القادمة..

(واشتملت الخطة على:

- ترتيبات جديدة للأمن القومي بما في ذلك قوة حفظ سلام عربية يدعمها تواجد بحري اميركي موسع في المنطقة.
- اتفاقات إقليمية للحد من التسلح لوقف انتشار الأسلحة التقليدية.
- منع العراق من إعادة تبني برنامج لصناعة أسلحة دمار شامل.
- برنامج طموح للأعمار الاقتصادي وجهود جديدة للصيانة لتقليل الاعتماد الأمريكي على البترول)[7].

ولقد كانت الجهود التي بذلها بيكر لرفض الربط بين قضية الكويت والصراع العربي الإسرائيلي ما جعله يشعر بالالتزام للتعامل بجدية مع عملية تسوية هذا الصراع، حيث جاء في مذكراته:

(فأثناء حشد هذا التحالف السياسي العسكري ضد العراق، تعهدت مرارا بان الولايات المتحدة ستعالج القضايا الاشمل للشرق الأوسط عقب تسوية أزمة الغزو، وبدرجة كبيرة مكنني هذا الوعد إحباط جهود ربط غزو الكويت بالصراع العربي الإسرائيلي. اما وقد أعطيت كلمتي في هذا الصدد شعرت ان علي التزاما معنويا بان أبدل المحاولة)[8].

كما عبر بيكر في مذكراته عن تبني عملي للشروط التي طلبها شامير لعدم الرد على صواريخ الحسين بقوله:

(وحددت الإطار العام لفكر نهج المسارين. وعددت مجموعة تدابير بناء الثقة التي قد تفكر فيها إسرائيل والعربية السعودية. واقترحت إمكانية التخلي عن مقاطعة السعودية لإسرائيل. ورفض قرار الأمم المتحدة الصادر عام 1975، بمساواة الصهيونية بالعنصرية وإنهاء حالة الحرب مع إسرائيل. ولقاء إسرائيلي على مستويات دنيا او تبادل سري لمعلومات المخابرات حول النشاط الإرهابي وفي المقابل فأنني مستعد لحث شامير على الرد بالمثل، مثل وقف الإبعاد والاعتقال الإداري للفلسطينيين في الأراضي المحتلة وسحب الجيش الإسرائيلي من مدن معينة في الضفة الغربية وقطاع غزة. وطمأنت الملك بان أي تنازلات محتملة من جانبه ستحاط بأقصى درجات السرية. وقلت (يجب ان تثقوا في بما فيه الكفاية حتى تبلغني بما يمكنك عمله. ولتتأكدوا انني لن اطرحه على المائدة علنا بدون التأكد من حصولكم على مقابله من الإسرائيليين)[9].

التسوية الامريكية
بين الجدية الخادعة والخداع الجدي

ان اول ما توحي به تحركات الوزير الامريكي بيكر هو التزام امريكا - عمليا - بمتابعة ملف قضية الشرق الاوسط بعد انتهاء ازمة الخليج. وان الصراحة والثقة التي طرح بهما الرئيس الامريكي اسس الحل السياسي والتسوية السلمية، المتمثل بقرارات الشرعية الدولية خاصة قراري مجلس الامن 242، 338 ومبدأ الارض مقابل السلام، والتأكيد على الحقوق السياسية للشعب الفلسطيني وما تبع ذلك من جولات بيكر المكوكية، يعزز دخول امريكا في مرحلة التطبيق الجدي لقرارات الشرعية الدولية. ولقد سمعنا من جهات كثيرة تأكيدات ان امريكا جادة ولن تتساهل مع الكيان الصهيوني في موضوع الشرعية الدولية وقراراتها لانها تشكل عماد واسس النظام الدولي الجديد. ولم يتفاجأ احد، في البداية، بلاءات شامير التي تحولت الى "نعم ولكن". فالحقيقة الامريكية، في التصريحات والتحركات، تبدو خادعة لكل ذي بصيرة عندما تحيط نفسها باطواق الفشل الذي يجمد الاسس ويناقض المواقف والتحركات. فالشرعية الدولية وقراراتها تتطلب اول ما تتطلب مؤتمرا يلتزم بهذه الشرعية وهذه القرارات. وهنا تلعب الجدية الخادعة دورها في الدعوة لعدم التقيد بالشكل والاهتمام بالمضمون. فالمؤتمر، سواء كان اقليميا او دوليا او ثنائيا او ثلاثيا او متعدد الاطراف، يتوقف انجازه على الاساس القانوني الذي سيعتمد عليه. وهنا ناخذ الجدية الخادعة دورها وهي تؤكد يوميا على رفض امريكا لحركة الاستيطان ونهب الارض، ووصف هذه العملية بانها عقبة في طريق السلام. ومع كل هذا فان امريكا تقدم - يوميا- دعمها، المادي والمعنوي، بانشاء هذه المستوطنات، وتقوم بتزويد الكيان الصهيوني بالمهجرين اليهود من الاتحاد السوفيتي ودول اوروبا الشرقية والفلاشا. ويتسرب الهمس الامريكي للصهاينة "انتم تستمرون في انشاء المستوطنات، ونحن نستمر بالتأسف". وبدفع فاتورة التكاليف طبعا!!

والولايات المتحدة حريصة، وبجدية، على مشاركة الاتحاد السوفياتي في رعاية المؤتمر، او اللقاء الاقليمي، او أي تسمية ممكنة لا تنرفز شامير. ولكن هذه الجدية تعيد الى الاذهان التجربة السابقة في مؤتمر جنيف الذي سعقه التفرد الامريكي في "كامب ديفيد" حيث اصبحت امريكا شريكة في اتفاقيات السلام!!! وجدية امريكا الخادعة تدرك ان الاتحاد السوفيتي اليوم ليس نفس الاتحاد السوفيتي الذي كان دولة يحسب الامريكان حسابها. وهنا نلاحظ عدم حماس وجدية امريكا في اشراك الاوروبين اضافة الى استبعاد مطلق للصين. ان الجدية الامريكية الخادعة تنسجم مع الخداع الجدي الذي يمارسه شامير وهو يتشقلب والكرة في احضانه ويمارس باستمرار وكأنها في ملعب الخصم، ويتصرف وكانه اول رئيس وزراء للكيان الصهيوني، او انه رئيس الوزراء الوحيد الذي لا يمكن ان يفرط بالمبادئ وانه شخص اسير لمبادئه وضميره. وانه طالما يقود زمام السلطة فانه لن يعترف بقرارات الشرعية الدولية المتناقضة مع التلمود الصهيوني، وانه لن يفرط بالارض مقابل أي شيء. ولكي يكسو خداعه بجدية سياسية يشير الى ان من سيأتي بعده سيقوم بتنفيذ قرارات الامم المتحدة.. والارض مقابل السلام، اما هو فلا يستطيع ذلك شخصيا.

من الطبيعي ان يتظاهر شامير وكانه لا يستطيع ذلك، لان امريكا تشير كل يوم انها لن تمارس أي ضغوط من أي نوع على الكيان الصهيوني لتطبيق الشرعية الدولية. والامريكان لا يعتبرون ذلك ازدواجية وكيل بمكيالين، حيث ان تطبيق الشرعية على الاعداء يختلف عن تطبيقها على الاصدقاء، فكيف اذا كان هذا التطبيق يتصل بالذات، وبما يعنيه الكيان الصهيوني الحليف الاستراتيجي لامريكا. لقد استطاعت امريكا ان تحشد الجيوش لتطبيق الشرعية ضد العراق عندما وجدت ان مصلحتها تكمن في ذلك، وقد قامت امريكا تاريخيا بعملية ضغط على الكيان الصهيوني عندما كانت مصالحها تقتضي ذلك.

فعلى الرغم من تبجحات بن غوريون، المؤسس الحقيقي لدولة الكيان الصهيوني ورفضه الانسحاب من سيناء في مطلع عام 1957 بعد العدوان الثلاثي على مصر، الا انه انصاع خلال اربع وعشرين ساعة من انذار الرئيس ايزنهاور. كما ان بيغن نفسه، استاذ ومعلم شامير، تبجح ورفض الانسحاب من مستوطنات سيناء.. الا ان مصلحة امريكا وممارستها الضغط عليه اضافة الى المكاسب التي حققها من التنازلات الهائلة التي قدمها السادات من حقوق الشعب الفلسطيني جعلته يقتلع هذه المستوطنات من جذورها. ولكن شامير يتصرف وهو يدرك ان امريكا لن تمارس عليه ضغطا هائلا، وانها اذا ضغطت فانه يعرف كيف سيخرج من الملعب والكرة في احضانه.

فمنذ بداية تحركات بيكر المكوكية وهو يؤكد انه يقوم بدور العامل المساعد ويردد "اننا نريد ان نطور ونؤسس عملية يكتب لها النجاح. ولا يستطيع احد فرض السلام في هذا الوضع. ان السلام لن يتحقق الا اذا كانت هناك رغبة حقيقية في المصالحة لدى الفرقاء المعنيين.

لقد ظهرت - مؤخرا - بوادر خلافات بين الموقف الامريكي والموقف الاسرائيلي حول طبيعة استمرارية المؤتمر الاقليمي للسلام، واذا افترضنا حسن النية، وان هذه الخلافات حقيقية ولا تدخل في اطار وضع التسوية الامريكية بين الجدية الامريكية الخادعة وبين الخداع الصهيوني الجدي، فاننا نراقب ردود الفعل المتعلقة بالتدخل الامريكي الحاسم لانقاذ مسيرة التسوية بعيدا عن المخداع. لقد عبرت مقترحات السناتور الامريكي روبرت دول بان على الولايات المتحدة ان تغير سياستها التجارية وعلاقاتها في المنطقة على ضوء موقف الدول من عملية السلام. وعلى الرغم من التهديد المبطن الذي يحمله تصريح دول، باستخدام ضغوط اقتصادية على الكيان الصهيوني والدول العربية، فان المتحدث بلسان البيت الابيض رفض التعليق على الانباء التي تقول بان الحكومة الاسرائيلية تراجعت عن اتفاق النقاط الست الذي تم بين بيكر وديفيد ليفي، كما رفض تأييد مقترح السناتور روبرت دول مؤكدا على ضرورة التركيز على الايجابيات دون اللجوء الى سياسة التهديد.

ولكن الحقيقة تفضح طبيعة التهديدات المبطنة والظاهرة، التي تواجهها معظم الدول العربية سواء التي عارضت تحالف حفر الباطن او التي ساهمت فيه. فسوريا والجزائر تواجهان حملة حول موضع التسلح، الاردن يواجه ضغطا اقتصاديا مشروطا بدور يلعبه بهدف استبعاد منظمة التحرير الفلسطينية من عملية التسوية.

اما المنظمة، فان الحملة عليها ومحاولة عزلها قد وصلت الذروة لدى الولايات المتحدة. ولولا السياسة الحكيمة التي مارستها المنظمة وانتهاجها خطة اعتراضية لمؤامرة التصفية التي تستهدفها، لاصبحت اكثر تعرضا لتحمل مسؤولية نتائج الخداع الصهيوني الجدي في تعطيل مسيرة السلام. ولا بد من التذكير بان هذه الحملة، التي تحاول الإدارة الامريكية وحلف حفر الباطن، ان تعزوها الى موقف المنظمة من ازمة الخليج فان جذورها ابعد من ذلك بكثير وتقود الى مرحلة الانتخابات الامريكية السابقة حيث بدت واضحة في تقرير البناء من اجل السلام. وعلى الرغم من الدور الصحيح الصحي والوطني والقومي والانساني الذي لعبته المنظمة في محاولة لمنع الحرب العدوانية القذرة، التي لم تطل فقط العراق وقوته الاستراتيجية الداعمة للامة العربية، وانما طالت مصالح الامة العربية باسرها سواء في الخليج او في كل العالم العربي والاسلامي، ولم تخرج بالغنيمة من هذه الحرب العدوانية سوى القوى المعادية لامتنا العربية والمتمثلة بامريكا والكيان الصهيوني وايران الفارسية.

لقد حددت اللجنة الرئاسية موقف الإدارة الامريكية من منظمة التحرير في تقرير "البناء من اجل السلام" الذي وضع ليكون الدليل الرسمي للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط وهو لا يزال كذلك حتى الان. فبعد تحليل لوضع شعب الانتفاضة وعلاقته بمنظمة التحرير الفلسطينية وتحت عنوان "تشجيع انبثاق قيادة فلسطينية مسؤولة" جاء التقرير ليقول "قد يحاول البعض اللجوء الى مزيد من العنف، ولكن

هذا لن يؤدي الا الى سوء وضعهم. وقد يحاول آخرون في النهاية العمل لصالح تولي امورهم الذاتية على المستوى السياسي مثلما يتولون امورهم في الشارع. وهذا بالتحديد نوع من التطور بعيد المدى الذي يجب على الإدارة المقبلة تشجيعه. فكون هذه القيادة ليست مثل م. ت. ف، التي حصلت على شرعيتها من خلال تصادمها مع اسرائيل. ولكن لكونها تنتمي الى الضفة الغربية وغزة. وان لديها بعض التجربة في التعايش مع اسرائيل الى الحد الذي يمكن معه نقل موقع النشاط السياسي من عرفات وضباطه في تونس وبغداد الى جماعات محلية في المناطق.

هل تغير الموقف الذي سبق حرب الخليج بما يزيد عن سنتين؟! انه نفس الموقف. ومبادئ السياسة الامريكية واهدافها تجاه منظمة التحرير الفلسطينية واضحة ومحددة ولا يجوز ان تحملنا احلام الوهم للسقوط في شراك الخداع. وقد اثبتت تجربة الحوار المعلق هذه الحقيقة، وكما كانت الخدعة في حرب الخليج مدمرة فان السقوط في خدعة السلام الامريكي المراوغ ستكون اكثر تدميرا للمنظمة اذا لم نعرف جيدا كيف نتعامل معها. فالخطة الاعتراضية لمحاولة التصفية الامريكية للمنظمة ولطموحات الشعب الفلسطيني هي التي يجب ان توضع نصب اعيننا، وعلى طاولة البحث والتنفيذ. واذا كان الحذر لا يمنع من القدر، فان الحذر هو المطلوب اولا، واذا كانت الجدية الامريكية التي سمعنا عنها ستكون جدية صادقة، وهو ما يتعارض مع استراتيجية التوتر الدائم الامريكية، فان علينا ان نتعامل مع الواقع بجدية حذرة. ندرك جيدا مواقع الخطر، نتمسك بالثوابت، ونمارس المرونة التكتيكية في الوقت الذي نؤكد فيه على الصلابة المبدئية. وهنا لا بد لنا من التأكيد على مواطن الخطر المتوقعة والتي يمكن تلخيصها في ثلاث:

الاول، هو موضوع الحكومة المؤقتة من الداخل وما تعنيه من الغاء لدور منظمة التحرير الفلسطينية وما تمثله من هوية وطنية مستقلة للشعب الفلسطيني.

والثاني، ويتمثل في محاولة الدفع باتجاه اجراء انتخابات داخل الارض المحتلة وتحت الاحتلال. وفي وقت يعرف الجميع ان الشعب الفلسطيني خارج الارض المحتلة غير قادر على ممارسة دوره الانتخابي بشكل ديمقراطي ودون الخضوع لدكتاتورية الجغرافيا العربية والدولية. اننا نؤيد اجراء انتخابات لشعبنا في كل اماكن تواجده تحت اشراف الامم المتحدة.

واما الثالث، فهو الدفع باتجاه العودة الى الوفد الفلسطيني - الاردني المشترك. لقد الغي مشروع الاتفاق الاردني الفلسطيني - وكان الغاؤه من طرف المجلس الوطني في الجزائر احد الاسس التي تعززت على اساسه الوحدة الوطنية التي قادت الى اعلان الاستقلال مع التأكيد على العلاقات المميزة والمستقبلية بين الشعبين الفلسطيني والاردني.(10)

وتصب العودة الى نبش هذا الموضوع في محاولة احداث شرخ داخل الساحة الفلسطينية من جهة، والى احداث وقيعة مع الاردن نحن في غنى عنها. اضافة الى موضوع اهمية المشاركة الفلسطينية بوفد مستقل في اية عملية للسلام، بما تعنيه هذه الاستقلالية من تاكيد على الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني، فان هذه المشاركة المستقلة تعطي الوفد الفلسطيني القدرة على الحفاظ واستخلاص اكثر ما يمكن من هذه الحقوق في هذه المرحلة فالمفاوض الفلسطيني المستقل يعرف جيدا معنى المساحة المحددة للضفة الغربية وقطاع غزة وهي الارض المحتلة عام 1967، والتي تم اقرار الموافقة بانشاء الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف عليها في هذه المرحلة. وهو بذلك لا يستطيع التسليم باي تغيير يسمح للصهاينة من اقتطاع أي جزء من هذه الاراضي تحت اسم الامن العسكري او الامن المائي. فالعمق الجغرافي للمفاوض الفلسطيني المستقل يمتد من قلقيلية الى نهر الاردن. اما في حالة وجود المفاوض الفلسطيني في اطار وفد فلسطيني - اردني مشترك فان هذا العمق سيمتد الى حدود العراق عند ال H3 وهذا ما يضعف موقفه التفاوضي في المحافظة على اكثر ما يمكن في هذه المرحلة. وحيث ان عملية الخداع الصهيوني الجدي يجب ان تظل شاخصة في اعين كل فلسطيني، فانه يجب ان نتسلح

باستمرار بالحذر من هذا الخداع المسلح بالجدية الامريكية الخادعة.

سيف الفرصة الأخيرة

بدأت جولات الوزير بيكر تترك انطباعا يوحي بالجدية، خاصة عندما تجد ما يعززها من تصريحات للرئيس بوش. لقد ذكرت صحيفة "يديعوت احرنوت" ان الرئيس بوش قال لشخصية يهودية مرموقة "انه لن يسمح لاحد في الشرق الاوسط ان يضع العراقيل امام جهوده السياسية في الشرق الاوسط". واذا اضفنا إلى هذا التكامل الامريكي، في الموقف بين البيت الابيض والخارجية، حركية الموقف السوفيتي الذي تعبر عنه جولة الوزير بسمرتنيخ، نجد لزاما علينا تقييم الموقف انطلاقا من اساسياته. فالرئيس بوش عندما "لن يسمح لاحد بوضع العراقيل". وعندما يقول هذا لشخصية يهودية مرموقة انما يعلن - بشكل او بآخر- انه سيمارس ضغطا على كل من سيحاول ان يضع العراقيل. وحيث ان تصريحات بيكر وحاشيته تتحدث يوميا عن المستوطنات وانها عقبة في طريق السلام فان اول المعنيين بكلام بوش هو شامير. اضافة إلى ان شامير يعلن ويتمسك بصلابة موقفه المعارض للسياسة الامريكية التي اعلنها بوش في خطابه بعد انتهاء حرب الخليج حيث اكد على قرارات الشرعية الدولية 242 و 338 كاساس للسلام مع مبدأ "الارض مقابل السلام ".ولكن الملاحظ ان الضغوط الامريكية تمارس بشكل واضح ضد الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني "منظمة التحرير الفلسطينية", وتحاول هذه الممارسات المضاغطة بكل أشكال الضغط السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والتآمرية في محاولة لايجاد قيادة بديلة عن المنظمة تنبثق من داخل الارض المحتلة. اضافة إلى محاولات العودة إلى تجربة الالحاق الفلسطيني في وفد اردني ليتسنى لمشروع شارون ونظريته التوسعية الهادفة إلى سرقة اراضي الضفة الغربية وضمها, انطلا قا من ان الدولة الفلسطينية قائمة حاليا في شرق الاردن. ان التلميح بالضغوط الامريكية على الكيان الصهيوني يساهم في محاولة امريكا تعزيز مصداقيتها امام حلفائها في حفر الباطن وخاصة سوريا ومصر. ولكن ما يعني امريكا هو مصالحها الاستراتيجية المرتبطة في منطقتنا اساسا بالكيان الصهيوني.

ولهذا, فان الضغوط التي مورست ضد سوريا, بشكل سافر حينا ومبطن احيانا, اعتبرها الامريكان اداه لممارسة الضغوط على الكيان الصهيوني للانخراط في عملية السلام. فالاسلحة السورية تشكل خطرا حقيقيا على وجود الكيان الصهيوني وامنه كما يدعي الصهاينة، وانه لا بد من تخلي سوريا عن ترسانتها العسكرية ليدخل الكيان الصهيوني إلى حلبة السلام وهو اكثر اطمئنانا. ان تركيز السياسة الامريكية على الاردن في هذه المرحلة ينبع من ان الاردن لم يكن حليفا ولا موافقا على الموقف الامريكي من ازمة الخليج، وكان موقفه الرسمي والشعبي اقرب إلى موقف المنظمة الهادف إلى المحافظة على العراق وقوته الاستراتيجية من جهة، والداعي لحل المشكلة في اطارها العربي. ولكن ممارسة امريكا وضغوطها المتتالية عليه جعلت الاردن يعلن عن استعداده بقبول الدخول إلى المفاوضات في وفد اردني - فلسطيني مشترك اذاما طلبت منظمة التحرير الفلسطينية ذلك. خاصة بعد عملية فك الارتباط، التي كانت المدخل لاعتراف المنظمة بقراي مجلس الامن 242، 338، وما نتج عن ذلك من اعلان الاستقلال. والتحرك السياسي الدبلوماسي على اساس الدولة المستقلة والتي تقوم على اللجنة التنفيذية بمهمة الحكومة المؤقتة لها ويتولى الاخ ابو عمار رئاسة هذه الدولة بناء على قرار المجلس المركزي في مطلع نيسان 1989.

ان سيف الترهيب والترغيب، الذي تشرعه امريكا في وجه الاردن، يشكل احد الاخطار التي من شأنها ان تفتح الطريق أمام شامير للتهرب من تقديم استحقاقات قرارات الشرعية الدولية. فالأردن، وهو يحاول ترميم علاقاته مع امريكا، بحاجة اكثر من أي وقت مضى إلى علاقة صحيحة وصحية ومتميزة مع

منظمة التحرير ومع دولة فلسطين المستقلة. فالشعب الفلسطيني داخل الارض المحتلة وفي الاردن وكذلك الشعب الاردني كان لهما موقف لا يزال يشكل الاساس الشعبي الذي عليه تقوم المسيرة الديمقراطية في الاردن. وفي حين يركز الكيان الصهيوني على موضوع الوفد الاردني - الفلسطيني المشترك فانه لا يتساهل في موضوع سوريا ويرغب بشكل او بآخر إلى ابقاء سوريا خارج حلبة التسوية التي تضمن له مرحليا الاستفراد بفلسطين والاردن ضمن اطار اتفاقيات "كامب ديفيد". فسوريا تعتبر بالنسبة لموقفها المتحالف مع امريكا في موقع قوة خاصة وانها لا تزال تحتفظ بعلاقاتها المتميزة مع الاتحاد السوفيتي.

ان ما تمخضت عنه جولات بيكر، المكوكية والمسنودة بجولة بسمرتنيخ الاخيرة، هو الوصول إلى حالة هلامية من التفاهم حول بعض النقاط المتفق عليها في حين وضعت نقاط الخلاف جانبا على امل حلها في اطار المؤتمر بعد افتتاحه وتحويله إلى لجان ثنائية. ان موقف شامير المتصلب والمستند إلى عدم جدية امريكا في فرض شروط على "اسرائيل" من جهة وعلى امكانية التهرب من هذه الضغوط، ان حصلت، بعدم المشاركة في عملية السلام حتى لو اضطر إلى الانضمام لمعلمه بيجن في عزلته التلموديه. ويرتكز موقف شامير على ما يسمى بالموقف المتصلب لحافظ الاسد. وكما نقلت صحيفة "يدعوت احرنوت" عن مصادر ديوان رئاسة الوزرء فان شامير لا ينوي منح بيكر ما لم يتمكن الحصول علية في دمشق. وهذه المصادر التي وصفت بانها قريبة جدا من شامير قالت: ان "اسرائيل لن تدفع ثمن عناد حافظ الاسد". ولهذا جاءت تصريحات بيكر المتفائله بعد لقائه الاسد حيث اكد قائلا "لا اعتقد اننا وصلنا إلى طريق مسدود من المستحيل التخلص منه. ويجب ان نذكر ان مجالات الاتفاق اوسع من مجالات الخلاف التي هي قليلة نسبيا".ولكن قادة الكيان الصهيوني يرون ان مبادرة بيكر اصبحت" معلقه بخيط رفيع جدا" إلى جانب تاكيد حقيقة موقف بيكر الذي اصيب بالملل من عدم نجاعة دبلوماسيه المكوك التي لم تتمخض-حتى الان- عن امور تعادل مشكلات السفر التي يعانيها. لقد صرح بعض مرافقي بيكرانه وصل إلى خيارات تمكنه من الحصول على ما يمكن تكتيكيا بغض النظر عن النتائج الاستراتيجية, وهذه الخيارات تتلخص في:

- اولا: المبادرة بارسال دعوات إلى الا طراف المعنية دون الخوض بتفاصيل شروط كل طرف للمشاركة, والذي لا يحضر يتحمل مسؤولية غيابه.
- ثانيا: تجاوز المشاكل السياسية الحادة الخاصة بالقضية الفلسطينية والتركيز على قضايا المؤتمر الاقليمي التي تتعلق بالاقتصاد والمياه والبيئة والاسلحة.

وهنا لا بد من الا شاره إلى العقبات الحقيقية التي تواجه مؤتمر السلام الذي يتحرك بيكر وبسمرتنيخ من اجله.. وهي تتلخص في ثلاث قضايا أساسية:

- الاولى: مشاركة الامم المتحدة, وهو شرط سوري ترفضه "اسرائيل" بحده خشية ان يتحول المؤتمر إلى مؤتمر دولي وتصبح قرارات الشرعية الدولية بما فيها قرارات الجمعية العامة مطروحة كاساس للتسوية السلمية.
- والثانية: طبيعة المؤتمر واستمراره وصلاحياته, ففي حين تريده " اسرائيل" مجرد افتتاح استعراضي ينفض بعد ذلك ويتحول إلى لجان ثنائيه, فان سوريا تصر على ضرورة استمراره ومتابعته لتطور المباحثات الثنائيه.
- والثالثه: وهي الا هم.. التمثيل الفلسطيني. وعلى الرغم من عدم اصرار سوريا على مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني, فانها تتمسك بقرارات الشرعية الدولية وبحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وتحديد من يمثله واقامة دولته

المستقله. اما الكيان الصهيوني فهو يرى ان التمثيل الفلسطيني وطبيعته وشكله هو الذي يعبر عن المصيغه النهائيه للحل الصهيوني المنشود.فالقدس لا يجوز أن تكون موضوع بحث باعتبارها عاصمة "اسرائيل الابدية:؟!! ولذلك لا يجوز ان يشارك أي من مواطنيها في المفاوضات بصفته فلسطيني, كما ان الفلسطينيين خارج الارض المحتلة لا مكان لهم في المفاوضات كفلسطينيين, فالوفد الفلسطيني يكون من الداخل فقط, وفي حال تشكيل وفد اردني –فلسطيني مشترك فان أي فلسطيني من الخارج او من القدس يشارك في الوفد تعتبر مشاركته بصفته يحمل الجنسية الاردنية. وكل هذه الصيغ الصهيونية يرفضها شعب الانتفاضة ويتمسك بالمنظمه وبكونها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني داخل وخارج الارض المحتلة(11).

هذه هي العقبات أمام بيكر وأمام بسمرتنيخ، ولا ندري كم تشكل هذه العقبات من موانع حقيقية في هذا النظام العالمي الجديد، الذي فرض على العالم العربي حربا ضارية ظالمة تحت شعار الشرعية الدولية، حيث ان كل العقبات يمكن ان تزيلها الصفقات المادية. فقد نجد الجميع يساقون إلى طاولة المفاوضات بعيدا عن مصالح وحقوق شعبنا، ولهذا فان علينا ان نتعامل مع الموضوع بكل الاحتمالات والخيارات المتوقعة. ولكن الاساس في الموقف الفلسطيني بشكل عام والفتحوي بشكل خاص هو عدم الخضوع لشعار "اياكم ان تقفوا عقبة في وجه "السلام؟!" فهذه هي الفرصة الاخيرة" ان سيف الفرصة الاخيرة المصلت على رقاب المتهافتين لا يجوز ان ترضخ له رقاب الثوابت المبدئية التي تصون الحد الادنى للحقوق الوطنية الفلسطينية المشروعة. والتي شملتها مبادرة السلام الفلسطينية واقرها المجلس الوطني الفلسطيني عام 1988.

ان محاولة امريكا مضاعفة انتصارها في حرب الخليج لتحقيق فوز جديد على الساحة الفلسطينية لصالح الكيان الصهيوني بدفعها للعمل على تحقيق حل سياسي مشوه لقضية الشعب الفلسطيني يتمثل بحكم ذاتي على السكان دون الارض ومواردها الطبيعية، وهو شكل أقل من البندستونات في جنوب افريقيا. اضافة إلى ان امريكا، وعلى الرغم من اعلانها المتكرر من عدم اعترافها بضم القدس، الا انها تعمل على تكريس امر واقع بالتمسك بوحدة القدس، وهذا يعني التسليم الامريكي للارادة الصهيونية، وهو امر لا يمكن لفلسطيني او عربي او مسلم او مسيحي مخلص ان يوافق عليه. ان سيف الفرصة الاخيرة لا مكان له على رقاب المناضلين الذين صبروا وصابروا وجاهدوا في سبيل الله وفي سبيل تحرير القدس من رجس الاحتلال الصهيوني. وعليه فاننا ونحن نتعامل بمرونة وواقعية مع المسيرة السلمية فان صلابة موقفنا المبدئي هي التي ستحمي رقابنا من دعوات التسليم تحت شعار الفرصة الاخيرة.

الهوامش

1. وليام كوانت مسيرة السلام مصدر سابق ص.459
2. المصدر السابق ص.473
3. واشنطن بوست 7/3/1991
4. نشرة فتح المركزية راينا العددالسادس اواخر آذار 1991
5. دنيس روس. السلام الضائع. ص.66
6. المصدر السابق. ص.67
7. مذكرات جيمس بيكر. ص.605
8. المصدر السابق. ص.607
9. المصدر السابق. ص.612
10. نشرة فتح مصدر سابق العدد الثامن
11. المصدر السابق العدد التاسع.